الفصل الرابع

بعض التحديات التي تواجه الثقافة في الخليج

obeikandl.com

obeikandl.com

بعض التحديات التي تواجه الثقافة في الخليج

على الرغـم من الظروف المشتركة والمتشابهة للثقـافة في دول الخليج العربية إلا أن هناك عدداً من التحـديات التي تواجه تلك الثقـافة والتي لا يمكن التغاضي عنها أو إهمالها، ويمكن إيجاز هذه التحـديات أو معوقات الثقـافة الخليجية في النقاط التالية :

أولاً :

تؤكد الخطـة الشاملة للثقافـة العربية على أن من أهم التحديـات التي تواجه الثقافة العربيـة بصفة عامة - **التخلف وعدم الـوعي (لدى كثير من المواطنين)**، بطبيعـة الحال، ولا نحتـاج إلى الحديث عن نِسب الأمية العـاليـة التي لا زالت الدول الخليجيـة - مثلها مثل باقي الدول العـربية - تكافح ضدهـا، في الوقت الذي دخل عدد كبير من الدول في مجال مكافحـة الأمية الحضارية، وبعضها - وبخاصة الدول الصناعية - يعمل في مجال مكافحة الأمية التكنولوجية [1].

ثانياً :

يعـد أدب الأطفال في معظم الـدول العربيـة، والـدول الخليجية من بينهـا، متوسطـاً أو ضعيفاً [2] ويهمنا أدب الأطفـال هنا جـدًّا؛ لأن العنايـة به معنـاها العناية بالثقافة في المجتمع من البداية، أي هناك عند المنبع، ولو بدأنا من هناك فلن نحتاج إلى بذل جهود أكبر مع الكبار والناضجين في المجتمع.

---

(١) الخطة الشاملة للثقافة العربية، المجلد الرابع، مرجع سابق، ص ٦٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٦.

ثالثاً :

إن وسائل البحث العلمي محدودة، وتفتقر إلى الوسائل الحديثة، في معظم الدول العربية [١]، وقد يمكن استثناء دول الخليج بصفة عامة من هذا الجانب. ولكن يجمع الكل (الدول العربية والخليجية) قلة الإنفاق على البحث العلمي وندرة الاهتمام بمشروعاته، وعدم الاستجابة لحاجات الباحثين والعلماء المادية [٢]، وكذا عدم الاهتمام بطموحات العلماء، أو بتنفيذ توصياتهم العلمية التي يخرجون بها من مؤتمراتهم وندواتهم.

رابعاً :

إن قضايا التعريب والترجمة تكاد تكون في وضع لا يتناسب مع حاجات الدول الخليجية، ولا مع طموحات وآمال أبنائها، وليست هناك جهود كافية في سبيلها، كما أن التمويل الكافي يعوزها، ولو نظرنا إلى دولة مثل اليابان التي تترجم إلى لغتها الأصلية كل ما ينشر في الخارج، وخصوصًا في دول العالم المتقدم لعرفنا المعنى الذي نتحدث عنه. فعلى فترات منتظمة أو شبه منتظمة تصل الأعمال العلمية (خاصة) والأدبية إلى اليابان فتوزع فور وصولها، دون حواجز بيروقراطية إلى جهات الاختصاص التي تقوم بترجمتها فوراً وإتاحتها للناس للعلم والاطلاع.

خامساً :

الكتاب العربي محدود الطباعة، وتدفقه عبر الحدود العربية تواجهه صعوبات ترجع إلى ارتفاع الأسعار حينا، ثم إلى عقبات الجمارك حينا آخر،

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٧.

(٢) محمد عبد العليم مرسي : البحث العلمي عند المسلمين بين ميسَّرات الماضي ومعوقات الحاضر، عالم الكتب، الرياض، ١٤١٠هـ

بالإضافة إلى عنصر الرقابة، وكذا سوء التوزيع، وقلة الدعم من قبل بعض الحكومات[1].

سادساً :

هبوط أو تدهور بعض القيم التي كانت سائدة في مجتمعات دول الخليج العربية، مثل قيمة العمل اليدوي والحرفي، والتي كانت جزءًا أساسيًّا من ثقافة أبناء الخليج، قبل ظهور البترول ووفرة الثروة في أيديهم، ويطالب أحد الباحثين في شؤون الخليج بإعادة اعتبار قيمة العمل اليدوي الذي يعد المنطلق الحقيقي لأي تنمية حقيقية تقوم على تنمية الإنسان وبنائه [2]. وبطبيعة الحال كلنا نعلم أن جزءاً كبيراً من تراث الخليج الثقافي يعود إلى الأيام التي كان فيها أبناؤه يعملون ويكدون، ويتغنون بالعمل وقيمته.

سابعاً :

بعد كثرة الأموال في أيدي أبناء الخليج و إقبال أعداد كبيرة منهم على أشكال الإبداع الثقافي تبينت ظاهرة جديدة خطيرة نقرأ عنها . . لقد صاحب هذه الدفقة في الإقبال الاجتماعي على الأشكال الإبداعية المتعددة ولوج طائفة من الأدعياء الذين لا يطيقون إبداعا، فانتحلوه اشتراءً بغية الشهرة (لعله يقصد بغية اشتراء الشهرة) وتحقيق الذات، حتى برزت في مجالات الإبداع ظاهرة شائهة : شعراء لا يفقهون في الشعر معنى ولا مبنى، وقصاصون لا يدركون

---

(١) الخطة الشاملة للثقافة العربية، مرجع سابق، المجلد الرابع، ص ٨١.

(٢) محمد عباس إبراهيم، مرجع سابق، ص ١٨.

معنى الحبكة، ومؤلفون هم أقرب إلى النسَّاخين منهم إلى مؤلفين، وكان ذلك جزءًا من سلبيات التحول الاقتصادي الذي ارتد وبالا على الثقافة والإبداع»[1].

ثامناً :

«لم تستقبل أشكال الإبداع الثقافي المستحدثة بالترحيب من مجتمعاتها، بغض النظر عما تنطوي عليه من أصالة أو زيف، فالمسرح قد خطا خطوات قصيرة في بعض الأقطار، ثم ما لبث أن تعثر. أما النحت والموسيقى فقد لاحقهما الاضطهاد من المجتمع الذي انقاد للدعاوي التراثية وما إليها، وامتد ذلك حتى فترة قليلة سابقة، وفي بعض أقطارنا ما زالت النظرة الاجتماعية إلى أشكال معينة من الإبداع الثقافي واقعة في نطاق المحرمات» [2].

هذا هو رأي الدكتور محمد الرميحي، ولكنه في حقيقة الأمر يحتاج إلى وقفة متأنية ومناقشة، فهو هنا يعيب على مجتمعات الخليج أنها لم تستقبل أشكال الإبداع المستحدثة بالترحيب، وكان الأولى به أن ينحو باللائمة على المبدعين الذين حاولوا إدخال «مستحدثات ثقافية» لا تناسب مجتمعاتهم، وكان ينبغي على هؤلاء المثقفين المبدعين أن يتحسسوا أوضاع ونفسيات تلك المجتمعات، إذ أن رفض المجتمع للعمل «المستحدث» ترمومتر لا يخطئ عن ذلك العمل، ولا ينبغي أن نطالب المجتمع بتقبل أمور ثقافية وهضمها رغم أنفه، إنما العكس هو الصحيح حيث ينبغي مطالبة «المبدعين» بتحسس مشاعر جماعير مجتمعاتهم والإتيان بما تتقبله هذه الجماهير وتستسيغه، لا فرض المستحدثات غير المقبولة - اجتماعيًّا - عليهم !!

---

(١) محمد الرميحي : الإبداع الثقافي ومعوقاته في أخطار مجلس التعاون، مجلة التعاون، العدد الأول، ١٤٠٦هـ، ص ١١٣

(٢) المرجع السابق.

هـذا جانب، أمـا الجانب الثـاني فهو تعبير الكـاتب بأن «النحت والموسيقى لاحقهما الاضطهـاد من المجتمع الـذي انقـاد «لدعــاوي التراثيـة» ومـا إليهـا. وتتمثل الخطـورة في هذه العبارة في جـانبين: الجانب الأول أنه ألغـى شخصية المجتمع ككل وتحدث عنه باعتباره منقاداً لآخـرين، وأنه لا رأي لـه ولا موقف، والثاني ما أطلق عليه «الدعاوى التراثية» وهو يقصد المتدينين الذين قالوا بتحريم النحت والموسيقى، والذين استنـدوا إلى أحاديث للرسـول ﷺ واستجاب لهم المجتمع، وهـو يعـد ذلك «دعاوى» بمعنى أنـه غير مقتنع بها ولا راض عنهـا. وهذا شأنـه أن يؤمن بها، أو لا يؤمن، ولكن ليس لـه أن يفرض على المجتمع أو يعيب عليـه إن اقتنـع بـرأي العلماء من أبنـائه ووافقهم على مــوقفهم الصحيح ورفض ما يمس عقيدته بصراحة ووضوح.

كـذلك فإنــه ينعى على المجتمع ــ مجتمع الخليج ــ أنــه يحرم بعض الأمـور الثقـافيـة.. أو بمعنى أصح الأمـور الفنية، فيقـول إن «النظـرة الاجتماعيـة إلى أشكال معينة من الإبداع الثقافي واقعـة في نطاق المحرمـات» ولا ندري ما الذي يغضبه من هـذا، أي أن يكون للمجتمع قيم يتمسك بها، ومعـايير يطبقها على ما يتقبله وما لا يتقبله، وفي حدود علمنا فإن مجتمعات الخليج الإسلامية لم تقف في وجـه، ولم ترفـض الأدب من شعر ونثـر وقصـة، كما أنها تقبلت التمثيل على المسرح، أو التليفزيـون، فما «الأشكال المعينة» من الإبداع الثقـافي التي رفضتها تلك المجتمعـات إن لم تكن الـرقص الفــاضح والتمثيل الهابط وغيرهما؟ وهل نلوم المجتمع مرة ثـانية.. أم نلقي باللوم على أولئك «المبـدعين» الذين يحاولون تقديم أمور يرفضها المجتمع، بل ويصر على رفضها..؟؟!!

تاسعاً:

ضمن التحديات للثقافة يأتي المعوق الإداري كمعوق للإبداع الذي يمكن أن نعده الطـرف الثاني مـن الثقافة، وهـذا المعوق يسميـه الرميحي «الفهـم المتدني

لقيمة الأعمال الإبداعية الثقافية وغمط قدرها ، فبعض المسؤولين «البيروقراطيين» يهيْمنون على إجراءات النتاج الثقافي ومراحله (كالطباعة وغيرها) أو مرحلة الفحص (كالرقابة على المصنفات الفنية) أو مرحلة التوزيع والنشر، فنجد من هؤلاء من قصر وعيه عن إرسال قيمة الثقافة وأثرها في حياة الشعوب فلم يعطها حقها من الإكبار. ومن المعوقات أن الموكلين بوضع اللوائح والقوانين للإبداع يقفون بها عند مستوى فهمهم وتفسيرهم ، فيقفون بذلك حجر عثرة في وجه الذين ينطلقون إلى آفاق رحيبة ومستويات رفيعة لا يدركها غيرهم»[1].

عاشراً :

هناك عائق أو تحد آخر يواجه الثقافة في دول الخليج ، وبخاصة الثقافة المستوردة عبر الحدود السياسية المعروفة ، وهذا التحدي يمنع الانتشار الثقافي ، أو على الأقل يحد منه «حيث يعامل النتاج الثقافي على بعض حدودنا معاملة المهربات والممنوعات» ، ولو فكرنا قليلا في المواد الثقافية التي تدخل إلى بيوتنا وعقولنا من خلال أجهزة الراديو والتليفزيون ، لتوقفنا قليلا أو كثيراً أمام الكتب والمطبوعات الأخرى لأن ما فيها ليس أخطر مما تحمله هذه الوسائل الإعلامية الحديثة ، وخصوصا في عصر البث المباشر الذي لا نستطيع له رقابة ولا منعاً ، وكذلك في عصر «الفاكس» الذي ساد المنطقة .

حادي عشر :

يحدثنا كاتب آخر عن معوق اجتماعي يقول إنه يقف في وجه الإبداع الثقافي ، ومن ثم في وجه الثقافة ، وهو «صغر حجم بعض مجتمعاتنا (مجتمعات الخليج)

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

قد يكون معوقاً في حد ذاته للإبداع الثقافي، فالخبرة في هذه المجتمعات الصغيرة هي خبرة ضيقة ومحدودة، كما أن الأفراد يعرف بعضهم بعضا معرفة وثيقة، ويضيق هذا النوع من المجتمعات بالأشكال الحسية في النقد، وبخاصة النقد للإبداع والمبدعين، وما زال النقد في منطقتنا طفلا يحبو وتشوبه العلاقات الشخصية، وما تفرضه من محاباة لذوي العلاقات الودية، وشطط وغلو مع الذين لا نرضى عنهم، أي اللجوء إلى النقد غير الموضوعي مما يؤدي إلى تشويه الإبداع والنقد معاً (١).

ثاني عشر :

تعد الثقافة الغربية - بوصفها الأقوى والأخصب - تحديًا للحضارات الأخرى، وثقافة الخليج من بينها «ولكن ثمة فرقاً شاسعاً بين استيعاب فكرها الإنساني الاجتماعي، وبين استيعاب فكرها العلمي التقني، **فمنظومة الفكر الإنساني - الاجتماعي الغربي** من (الفلسفة إلى الفنون والآداب والسياسة) تيارات لا تحصى، وهي منسجمة مع القيم الغربية الخلقية والروحية والجمالية والاجتماعية، بوصفها جزءاً منها، كما أنها قابلة للجدل، أي للقبول والرفض.. كليا أو جزئيا، باعتبار أنها لا تحمل أي قانون حتمي أو نهائي، ثم إنها قد تحمل الخطر إلى منظومة القيم العربية الإسلامية، وتغير من جوهر الهوية الحضارية العربية» (٢).

---

(١) المرجع السابق، ص ١٢٠.

(٢) شاكر مصطفى : التخطيط الثقافي في دول مجلس التعاون والخطة الثقافية الشاملة، التعاون، العدد ٤، ١٤٠٧هـ، ص ١.

ويستدرك الكاتب الواعي السابق ـ شاكر مصطفى ـ ليقول : «لكن الحاجة إليها في حياتها الثقافية ليست حاجة حياتية ملحة، وتستطيع الاستغناء عنها، كلها أو بعضها، دون أن يظهر أي نقص في هذه الحياة، كما أن في تراثنا الطارف والتليد، وفي تراث غيرنا بدائل عديدة لها قد تغني عنها أو عن بعضها، وإذا كانت معرفتها تضيء العصر فإنها غير أساسية في التطور الثقافي.

وينبه المفكر المسلم أمته «أما منظومة الفكر العلمي الحديث، ومدى تباعدنا عنها فهما التحدي الحقيقي، لا في الأبعاد العميقة، ولكن في الأخطار المصيرية الناجمة عنها، فالحاجة إلى استيعاب العلم والتكنولوجيا الحديثة حاجة أساسية بوصفها تقدمًا إنسانيًا لا مجال للتراجع عنه، كما أنها أقل ارتباطاً بالقيم الغربية؛ لأنها تنتمي إلى عالم القوانين العلمية وإلى حتميتها المطلقة، فلا مجال للجدل فيها، ولا بدائل لدينا أو في الثقافات الأخرى. فحاجة الثقافة العربية الحديثة - والخليجية جزء منها - إلى استيعابها أمر حتمي. وإذا كانت الحاجة إليها ضرورة ملحة فإن أثرها على الهوية الحضارية قابل للتطويق»(١).

ثالث عشر :

وينطلق بنا شاكر إلى تحدٍّ من نوع خاص، لا بد من مواجهته ومحاولة استيعابه؛ لأنه لا غناء لنا عنه، هذا التحدي هو «الفجوة التكنولوجية» بيننا وبين الآخرين المتقدمين (أمريكا وأوروبا واليابان بالتحديد(*)).

---

(١) المرجع السابق.

(*) لمن يريد الاطلاع على الفرق الكبير بين اليابان وغيرها - حتى أمريكا - في هذا المجال عليهم أن يقرأوا الكتاب الحديث والرائع لمؤلفه الياباني Shintaro Ishihara بعنوان The Japan that can Say No. وقد قدمت له عرضا وافيا في مجلة الفيصل في العدد (١٦٦)، شوال ١٤١٣هـ - أبريل ١٩٩٣م، والكتاب ترجم إلى الإنجليزية، وصدر في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٠م، وأثار ضجة هائلة لا زالت مشتعلة هناك.

يقول الكاتب : وتتشكل هذه الفجوة التكنولوجية من فجوتين مشتبكتين معا تتعلق إحداهما بعجز المعرفة، والأخرى بالقصور الصناعي، ونعبر عن ذلك باسم نقل التقنية، وهي أعقد من ذلك بكثير، فمنذ ثلاثة عقود تطورت الصناعة الإليكترونية محدثة نقلة نوعية في التقدم البشري، قدرة وتغييرا. لقد تطور (الكمبيوتر) في الحجم والذكاء والذاكرة والسرعة، وكذا في نوعية البيانات والمدخلات والمخرجات، وعناصر المعالجة، وفي لغات التعامل وبنية الأنظمة ومجالات التطبيق، وذلك في أجيال سريعة متعاقبة بلغت ستة أجيال حتى الآن (*)، وحقق بذلك طفرة هائلة في تقدم البشرية لم يسبق لها مثيل، وامتدت تطبيقات الحاسب الآلي إلى كل ميادين الحياة، حتى الطب والقانون والتعليم والإدارة.

ووافق ذلك كله ثورة أخرى في مجال تقنيات الاتصال والأقمار الصناعية، بعد زيادة طاقاتها باستخدام الألياف الضوئية، وبنقل الصوت والصورة، وأسلوب الفيديوتكس في تبادل الرسائل بين المستخدم لها ومراكز المعلومات، في الوقت الذي يزداد شح البلاد المتقدمة بمعلوماتها، ويتطلب نقلها إجراء تغييرات في البنى الاجتماعية والاقتصادية للبلاد التي تنقلها، ولا تتوافر للبلاد العربية الأيدي الخبيرة بها، ولا معدات الإنتاج.

وإذا كانت هذه الأمور تشكل قضية الحاسب الآلي كأداة للثقافة فثمة قضية أخرى له وهي وضعه نفسه كقضية ثقافية، ويدخل فيها أمر تعريبه ولغته، والقضيتان تتطلبان تحركًا تربويًّا - تثقيفيًّا سريعًا جدًّا لإيجاد البنى الأساسية

(*) كان هذا الكلام وقت كتابة المقال عام ١٩٨٦م ونحن الآن في عام ١٩٩٣م !

التحتيـة المتخصصة لتكـون قـاعـدة البناء للغـد، ولتحمي المواطن العـربي من الانسحاق الحضاري[1].

رابع عشر :

إن ثورة الاتصـالات التقنية، بالإضافـة إلى عوامل أخرى أعطت ثقافـة البلاد المصنعة قدرات هـائلة لم تتوافر لأية ثقـافة أخرى من قبل، وقـد سـاعدها ذلك **على فرض تبعيتها وأنماطها وقيمها على الثقافـات الأخرى. وهذا التنميط الثقافي أضحى جزءًا مكملا للاستعمار الاقتصادي - السياسي الحديث**، وهو يستخدم في ذلك مختلف الوسائل الثقافية. ومشكلة هذا الخطر أنه يقوم على عدم التكافؤ في القـوى، وعلى أسـاس التـدفق الـوحيـد الاتجاه من الغـرب إلى الشرق، وعلى أساس القيم الغربية والتنميط الاستهلاكي[2].

خامس عشر :

من التحديـات المؤثرة عدم النظرة إلى الثقـافة النظرة الجدية، وعـدم اعتبارها أحد مكونات الحياة، وبعضها الآخر ناجم **عن هيمنة الغرب ونفوذه الكبير، فقد أوجـدت النظرة الماديـة لدى عـدد من الطبقـات والفئات حـالة من الاستهـلاك المفـرط اتجه إلى الجوانب السهلة من الحيـاة، ووصل إلى حـد التبذيـر، حتى على مستوى المشـاريع والأعمال الضخمة، بينما صدف تمامـا عن الجانب الثقافي، أو لنقل إنـه وضعه في المرتبـة الثانـويـة أو المهملة من الاهتمام، أو حسبـه نوعًـا من الإضافة التزيينية التي لا تقدم شيئًا في التكوين المجتمعي ولا تؤخر.**

---

(١) شاكر مصطفى، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٦.

وثمة دون شك ترابط بين الثقافة الاستهلاكية وبين ضمور الوعي والإبداع الثقافي، **فتوافر الاستهلاك الهين من شأنه سد منابع الإبداع، والإحساس بالاكتفاء، كما أنه يؤدي إلى النظرة الدونية للثقافة**، باعتبار التكنولوجيا والعلم أساس التقدم، **وأما الأدب والشعر فأضغاث أحلام**. وإلى هذا وذاك **فالثقافة الاستهلاكية تدفع كالرمال المتحركة إلى مزيد من الاستهلاك وتصرف حتى المثقف إلى ما يدر عليه الربح، لا إلى ما يبدعه الفن والجمال**[1].

سادس عشر :

إن منطقة الخليج العربي تخضع لصراعات دولية متعددة الجوانب والدوافع والأهداف، كما أنها متعددة الوسائل والأساليب، وهذه الصراعات تجعلها عرضة «للغزو» بأشكاله المختلفة من أطماع بنفطها وثرواتها المالية، ومحاولة الاحتلال لمواقعها الاستراتيجية وفرض التبعية عليها. وأما التمهيد لذلك كله فإنما يتم بالغزو الثقافي. وهذا الغزو يجري فعليا في العالم الثالث كله، وبتخطيط مدروس منظم ضمن استراتيجيات الدول الكبرى، وتستعين هذه الدول عليه بتقدمها العلمي المطرد، وبتطورها التكنولوجي الساحق، وبسيطرتها على قنوات الاتصال ووسائله سيطرة كاملة، وهذا كله يجعل للأيديولوجيات الغربية اليد العليا في الوطن العربي، ومنه منطقة الخليج، **وإن ثورة المعرفة والتكنولوجيا، ووسائل الاتصال، بقدر ما هي وسائل خير للإنسان، هي في الوقت نفسه، وبسبب من استخدامها في خدمة مصالح الدول التي تملكها، وسائل سيطرة**

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٢.

وتبعية فكرية ــ روحية ـ أيديولوجية، لا تقل خطرا عن استخدام الأسلحة القاتلة، لولا أنها وسائل كالسم تقتل وهي صامتة؛ لأنها تستهدف إلغاء الهوية الحضارية للأمم الأخرى في سبيل ثقافة غربية واحدة (١).

سابع عشر :

ويبين عبد الله العمر مظهرًا آخر من مظاهر التحديات الثقافية في الخليج حين يقول إن أبرز المظاهر السلبية التي طرأت على حياتنا نتيجة الكم الهائل الوافد علينا من علم وتكنولوجيا يتمثل في التهافت على شراء الكماليات، والاندفاع السريع نحو اقتناء السلع الاستهلاكية، فإذا كانت هناك خشية نبديها إزاء هذا المظهر المؤسف في نمط حياتنا فإنه يتعلق بأثر كل ذلك على أصالة الفن والإبداع في نتاجاتنا، فها نحن صرنا نشهد اليوم ألوانًا من الأدب وأشكالاً من الفن كالموسيقى والمسرحية يكون الهدف من ورائها الربح المادي، أو الشهرة الزائفة، لا الفن الرفيع، أو الإبداع الراقي (٢).

ثامن عشر :

هناك تحدٍّ من نوع خطير يحدثنا عنه الجلال، وربما يمارس بدون وعي، **وهو يتمثل في «تكريس التجزئة السياسية - وربما عن خطأ تقدير - للتمزق الثقافي، مما يهدد ببتر الوشائج التاريخية القائمة بين مجتمعات المنطقة. وتعمل الأجهزة المشرفة على الإعلام والثقافة والتعليم بوسائلها المختلفة من صحافة وإذاعة وتليفزيون ومدارس (؟؟) على التركيز على التميز والاختلاف، بحيث يكون هناك ثقافة وفكر وأدب وفن لكل دولة من دول مجلس التعاون، وهكذا في كل المجالات»** (٣).

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٤.

(٢) عبد الله العمر، مرجع سابق، ص ص ٣٩ - ٤٠.

(٣) عبد العزيز الجلال، مرجع سابق، ص ٢٦.

تاسع عشر :

تكريس الإقليمية والعزلة مقابل الرابطة القومية للعروبة، وترتبط هذه الظاهرة بنفس تيار التجزئة السياسية الممتدة عبر الوطن العربي الكبير، حيث تشهد الدعوة العربية انحساراً ظاهراً، بل واستصغارا لشأنها، وإلقاء اللوم عليها فيما وصل العرب إليه من تخلف وفرقة، مقابل تعزيز للإقليمية، والارتباط بجذور منبتة عن التيار السائد للثقافة العربية الإسلامية، أو مقابل إنكار للعروبة، وتذويب لها في إطار إسلامي مضاد للعروبة (؟؟!!) مع أن العروبة لم تكتسب معناها وعمقها التاريخي إلا في إطار الإسلام، وأن الإسلام مرتبط بالعروبة نبوة واحتضانًا ولغة وتاريخًا، بل ثقافة شاملة.

كما أن من سمات هذه الظاهرة سيطرة اللغات الأجنبية في التعليم والتعامل، وسيطرة اللهجات المحلية في التخاطب والإنتاج الفني في غالبه، مما يضعف أثر اللغة العربية في الرباط القومي للثقافة، ويسبب استمرارها شبه عاجزة عن المعاصرة ومواكبة متطلبات الحياة الحديثة في العلوم والتقنية والفنون، بالرغم من قدرتها على الصمود والخلود وإمكانية تطويرها تعزيزا للتراث الثقافي، ومساهمة أفعل في التنمية الثقافية الشاملة سواء بسواء [1].

عشرون :

ويتبنى الجلال موقفًا يطالب فيه بأن يشارك المواطنون في الخليج في الفكر والرأي المسيّر لشؤون الحياة، بحيث ينتج عن تلك المشاركة إبداع حر ينتج من شعور الإنسان بأهميته في مجتمعه، وفي بناء ثقافته [2].

---

(١) المرجع السابق، ص ص ٢٦ - ٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧.

واحد وعشرون :

غياب التوازن الثقافي في التنمية، فقد سيطرت على المنطقة فترة ليست بالقصيرة ارتبطت فيها التنمية بمظاهرها المادية من مشاريع اقتصادية ومصانع وطرق ومزارع وعمران وما إليها، وبالرغم من وفرة ما تحقق للمنطقة في هذا المجال **فإنها تدرك أن ما حققته لا يزال بعيدًا عن التنمية الشاملة القادرة على الاستمرار وإسعاد الإنسان، إذ أن ما تحقق ما هو في غالبيته إلا مظاهر مادية منبتة تيسرت بفضل تدفق النفط، ويزول معظمها بزواله، ما لم يأخذ التوازن الثقافي في التنمية مكانه من خلال النظام الاجتماعي والتعليمي والإعلامي، (والثقافي)، في حال فصله عن تلك النظم.**

والتوازن الثقافي يعني القدرة على الفكر والإبداع والعطاء العلمي من قبل الإنسان ليوجد المادة ويسيّرها ويصونها ويجددها فتتجدد بذلك دورة الحياة للمجتمع، فالتوازن الثقافي بهذا المعنى **يتحقق من خلال الحرية والمشاركة السياسية، والنظام التعليمي المؤدي للتفكير والاستقلال والموضوعية في السلوك والحكم، ومن خلال النظام الثقافي والنظام الإعلامي المتفتح والموضوعي** (١).

ولا ندري حقًّا إن كان التوازن الثقافي قد غاب في التنمية في منطقة الخليج العربية، وما أشار إليه الجلال من المظاهر المادية للتنمية من مشاريع اقتصادية ومزارع وطرق وعمران، صاحبه - حقًّا - مشاريع أخرى عملاقة يفترض أنها في خدمة الثقافة بالدرجة الأولى، ونقصد بها الجامعات التي أنشئت في المنطقة بشكل متسارع، حتى بلغت قرابة العشرين جامعة في دول مجلس التعاون وحدها، بالإضافة إلى آلاف المدارس التي يتعلم ويتثقف فيها أبناء الإقليم

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٧.

وبناتـه، ناهيك عن الأنديـة الثقافيـة وشبكات الإذاعة والتليفـزيون، وعشرات الصحف والمجلات وغيرها.

صحيح قـد نختلف أو نتفق حول طبيعـة الأداء في هـذه المؤسسات العلميـة والثقافية، وقـد ننتقد أنواعًا من القصور فيها أحيـانًا، وأنها تعيش في معزل عن مجتمعاتها أحيـانًا أخـرى، ولكن ذلك لا يدفعنـا إلى تجاهل وجودهـا كلية أو إلى إلغائه من تفكيرنا أو كتاباتنا !!

اثنان وعشرون :

ورغم أننـا أوردنـا قبل ذلك خطـورة الثقـافة الغـربية الصنـاعية على منطقـة الخليج العربية، إلا أن هناك باحثا يتحدث في هذا الموضوع من زاوية مختلفة تعد تحديًا حقيقيًّا للثقافة في المنطقة، وفي العالم العربي عامة، وهو تقبل بعض الناس لهذه الثقافـة الغربية والـدفاع عنها. يقـول أبو زيد : «وتظهـر خطورة التأثيرات الثقـافيـة الأجنبيـة التي تمثل تحديـا للثقـافـة القـوميـة في أنها تعبر عن تيـارات واتجاهات ومـذاهب ثقافيـة وفكرية تنتمي في الأصل إلى مجتمعـات أكثر تقـدمًا وتطورًا من المجتمعـات العربية ومجتمعات الخليج من بينهـا بطبيعة الحال، وأنها تحمل بين ثناياها بذور السيطرة الثقافية الأجنبية على الثقافة القومية.

ويبدو أن ثمـة استعدادا لدى بعض قطـاعات المجتمع العـربي لتقبل كل ما يقدمه الغرب خصوصا من آراء وأفكار وقيم وأنماط للسلوك، واعتناق هذه الآراء والأفكار والدفـاع عنها بغير دراسة أو تمحيص. وقد يكـون السبب في ذلك هو **الشعور الكـامن بالتخلف** العام أمـام الغرب في مجالات العلـم والتكنولـوجيا، وكذلك في **الجوانب السياسية الاقتصادية والعسكرية**، والاعتماد بأن هذا التفوق يستتبع بـالضرورة التفوق أو التقـدم والرقي الثقـافي، وأن ذلك يحتم من ثم تقبل حصـاد الفكـر الغـربي وثقـافتـه، مثلما نتقبـل نتـائج البحث العلمي والتقـدم التكنولـوجي. والنتيجة الخطيرة التي قد تترتـب على ذلك النوع من التفكير ومن

المنطق هي تعطيل الملكـــات الإبـداعيـة، وشل القـدرات الفكـــريـة، ومن ثم الخضـوع للفكر الغـربي، وللقيم الثقـافية الغـربيـة، والاستسلام الـذهني لكل إنجازات الغرب العلميـة ومذاهبه الفلسفية واتجاهـاته الأيديولـوجية، بل وأيضا محاكاته في أنماط سلوكه وقيمه الاجتماعية والأخلاقية» (١).

(١) أحمد مصطفى أبو زيـد : التحدي الثقـافي، ضمن بحوث النـدوة الفكرية الـرابعة لـرؤساء ومـديري الجامعات الخليجية، (الدوحـة - قطر) في الفترة من ٢٣ - ٢٦ ربيع الأول ١٤١٠هـ، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ص ١٩.

obeikandl.com